

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الجزء الثاني والعشرون

### سورة الأحزاب

من الآية ٣١ حتى نهايتها الآية ٧٣

### وسورتا

### سبأ - فاطر

### وسورة ياسين

من بدايتها حتى الآية ٢٧



﴿ وَمَنْ يَقْنَتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾  
 (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ  
 مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقُرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ  
 وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
 تَطْهِيرًا (٣٣) وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) ﴿

من تطع وتخضع لله ولرسوله وتعمل صالحًا، يُضاعف لها الثواب مثلما يُضاعف لها العذاب عندما تأتي بفاحشة ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ في حياتها الدنيا وفي الآخرة ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ في تكريم الله لكن، وفي المسؤولية التي عليكن ﴿ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ إن خفتن الله . قال الشوكاني : [أى إن اتقيتُن فلستن كأحد من النساء] لأنكن تقيات، وزوجات خاتم النبيين ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ لا تلنَّ القول من باب فرط الأدب والحياء، فيطمع فيكن المنافقون ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ وقلن القول الحسن المحمود ﴿ وَقُرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ الزمن البيوت، ولا تخرجن إلا لحاجة ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ قال مخلوف : [البرج هو سعة العين وحسنها] وصارت الكلمة تعنى التزين والتجمل، والجاهلية الأولى هي الجاهلية القديمة، وتعددت الأقوال في زمانها، ولكن قال المراعى وغيره من المفسرين إن الجاهلية حالة وأوضاع وقيم وطريقة حياة، فهى بذلك ليست محددة بزمان ولا مكان، ولفظ المراعى : [الجاهلية الأولى هي الجاهلية القديمة ؛ جاهلية الكفر قبل الإسلام، وهناك جاهلية أخرى ؛ هي جاهلية الفسوق فى الإسلام] فالعنى هو نهيهن عن اتباع ما كانت تفعله النساء فى الجاهلية الأولى، وعليهن التزام اللباس الشرعى الذى جاء به الإسلام ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ لأنكن أجدر من يفعل ذلك، ولأنكن قدوة لجميع المؤمنات ويريد الله أن يمنعكن من فعل ﴿ الرِّجْسِ ﴾ الذنوب ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ أزواج الرسول (ﷺ)، وهناك روايات عديدة أن النبى (ﷺ) قال عن فاطمة وعلى

والحسن والحسين أهل البيت، ويُسمون أهل العباءة أو أهل الكساء<sup>(١)</sup>، والجمع بين أزواج الرسول (ﷺ) وأهل العباءة أرجح ﴿وَيَطْهَرُكُمْ تَطْهِيراً﴾ من الذنوب ومن عمل ما هو ليس الأولى والأحسن، واحرصن على العمل بآيات القرآن وسنة الرسول ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

\*\*\*

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الذين يسلمون وجوههم لله ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ الطائعين في خضوع وتسليم عن رضا داخلي ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ في القول والفعل ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على التزام الطاعات واجتناب المنهيات، والابتلاءات ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ بقلوبهم وألستهم وأعمالهم ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ الذين يعرفون أن المال مال الله، وأنهم مستخلفون فيه ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ الذين يحرسون على التقرب من ربهم بالصيام الذي يؤدي لتقوى الله ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عن الزنا ومقدماته ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ بالقلب وباللسان وبالحوارج، كل هؤلاء ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

\*\*\*

﴿وَمَا كَانَ لِمَنْ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)﴾

(١) لأن الرواية تقول إنه (ﷺ) جمعهم تحت عباءته، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» رواه أحمد.

ما يجوز لمؤمن ولا مؤمنة أن يختار لنفسه أو لنفسها خلاف ما أمر به الله أو أمر به رسوله ، ومن يفعل ذلك ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ قال المفسرون : إن الآية نزلت في زينب بنت جحش بنت عمه رسول الله (ﷺ) أميمة بنت عبد المطلب عندما خطبها لزيد بن حارثة مولاه ، وكان وقتها ابنه بالتبني بعد أن حرره (١) ، فرفضت ورفض أخوها لحسبها وجمالها ، فلما نزلت الآية ، قبلوا الزواج وقالوا رضينا يا رسول الله ، فتزوجها زيد (ﷺ) ، ولكن لم ينجح الزواج ، فبدأ زيد يشكو لرسول الله (ﷺ) ويطلب منه الإذن بطلاقها ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ أنعم عليه بنعمة الإسلام وبصحبة رسوله ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ بأن أعتقته وتبنيته ، ثم زوجته بنت عمك زينب بنت جحش ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ لا تطلقها ، وخاف الله ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ تضمري في قلبك وحى الله لك بأنك ستزوجها بعد أن يطلقها زيد ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ ﴾ تخاف من تعبير قريش لك ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ والله وحده هو الجدير بالخشية ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا ﴾ الوطر في اللغة : بلوغ منتهى ما في النفس من شيء ، فالمعنى بلغ نهاية احتماله لها وصبره عليها ﴿ زَوْجَانِكهَا ﴾ أمرناك بالزواج منها ؛ لكي لا يتحرج المسلمون من الزواج بمطلقات أو أراامل من كانوا يتبنونهم بعد النهي عن التبني (٢) ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

\*\*\*

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُقَدَّرًا ﴾ (٣٨) الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾ من ضيق ومشقة ﴿ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ من زواجه بزینب بنت جحش ﴿ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ لا حرج فيما أحل الله ولم يحرم ، فالله هو

(١) وقع زيد بن حارثة في الأسر ، وباعه من أسروه كعبد ، واشترته خديجة (رضي الله عنها) ووهبته للرسول (ﷺ) ، ولما جاء أبوه وعماه لفدائه وأخذه ، رفض وتمسك بالبقاء عند الرسول (ﷺ) ، فعندئذ حرره وتبناه .

(٢) طعن اليهود والمسيحيين ومن يردد أصداءهم يطعنون في ذلك ، رغم أن الفاروق (رضي الله عنه) وعائشة - أكثر زوجات الرسول غيرة عليه (رضي الله عنه) كانا يقولان بثاقب نظرهما : لو كنتم رسول الله (ﷺ) شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله لكنتم ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ ، وكانت زينب (رضي الله عنها) تتباهى قائلة : زوجني الله محمداً .

الذى يحلل وهو الذى يحرم، ليس الناس بتقاليدهم وأعرافهم وعقولهم ومداركهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُّقَدَّرًا﴾ قضاءً مبرماً لا رجعة فيه . . فالأنبياء ﴿يُلَاقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ثم عادت الآية تؤكد ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ حتى يحرم عليه الزواج من زينب ﴿وَلَكِن رُّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فلا نبى بعد محمد (ﷺ) ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ .

\*\*\*

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

جاء فى الحديث «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبیبتان إلى الرحمن : سبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم» متفق عليه، وجاء «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره، مثل الحى والميت» رواه البخارى . . وليس الذكر مجرد التلفظ باللسان أو تحريك المسبحة، ولكن الذكر الصحيح ما يستقر فى القلب، وينفعل به ليضبط القول والفعل، ومنه التسييح ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره، والمقصود طوال اليوم، واعلموا واطمنوا أن الله يصلى عليكم، أى يرحمكم، وأن الملائكة تصلى عليكم، أى تدعو الله أن يرحمكم ويغفر لكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ حتى ينجيكم من ظلمات الضلال إلى نور الهدى والطريق المستقيم ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ فأى فوز وسعادة ورضا حين يلقانا رب العالمين بالتحية والسلام ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ .

\*\*\*

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

أرسلناك يا أيها النبى للناس برسالة الإسلام لتكون شاهداً يوم القيامة عليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بما ينتظر المؤمنون من نعيم ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالجحيم لمن تكبر وكذب وكفر ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ تدعو إلى الله بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ تنير الطريق لمن أراد أن يسلك سبيل الله

﴿ وَيَشِرُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بفضل الله الكبير ﴿ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ الذين يريدون أن تنحرف عن رسالتك ﴿ وَدَعِ أَذَاهُمْ ﴾ لا تشغل بأذاهم عن تبليغ رسالتك ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ .

\*\*\*

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَّاحًا جَمِيلًا (٤٩) ﴾

دائمًا يوصى القرآن بالمرأة ويحذر من ظلمها، فإذا ﴿ نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى عقدتم عليهن ﴿ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ من قبل أن تدخلوا عليهن ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴾ عندئذ لا عدة على المطلقة ﴿ فَمَتَّعُوهُنَّ ﴾ أعطوهن عطاءً يجبر خواطرهن ﴿ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَّاحًا جَمِيلًا ﴾ بالمعروف، وبالحسنى .

\*\*\*

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) ﴾

قال محمد الغزالي : [المعروف أن للمسلم أن يتزوج بأربع لا يزيد . وقد أسلم رجل ولديه عشر زوجات ، فأمره النبي بأمساك أربع وتسريح الباقيات .

قد تقول فلماذا لم يطبق ذلك على نفسه؟ والجواب أنه بعدما اخترنه على أهلها وآثرنا البقاء معه على شظف العيش ما يسوغ ترك إحداهن! ثم ماذا تفعل من يسرِّحها؟ إن زوجها بغيره مستحيل لحرمة أمهات المؤمنين على سائر الأمة! فالحل أن يبقين ، ولو كان من بينهن العجائز!

ثم قيل للرسول عقب هذا الوضع ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنُهنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَافِعًا (٥١) ﴾ [الأحزاب] .

والتعدد نظام قد يقبل مع شرف الأخلاق وتباين الطبائع والحاجة إلى الذرية، وقد عُرف في سير الأنبياء. وأشعر بريية فيما ذكرته التوراة من أنه كان لسليمان ألف امرأة، وأحسب ذلك من المجازفات. . . ! وليس للحضارة المعاصرة أن تخوض في هذه القضية! فإن التعدد فيها كلاً مباح، وربما استطاع الصعلوك أن ينال أكثر مما نال سليمان سفايحاً لا نكاحاً].

وقد نقل الشوكاني عدة أقوال عن سبب استخدام الآية الجمع في العمات والخالات، والمفرد في العم والخال، ربما أرجحها ما ذكره القرطبي أن العم والخال في الإطلاق اسم جنس وليس كذلك العممة والخاله، ويؤيد ذلك قول عائشة وحفصة وهن يتباهين على صفة: نحن زوجاته وبنات عمه.

قضى الله ألا تتزوج أمهات المؤمنين أحداً بعد رسول الله (ﷺ)، كما تبين الآية ٥٣ - لحكمة عنده، قد ندركها، أو ندرك بعضاً منها، فماذا تفعل من يطلقها؟ مع العلم بأن سورة النساء نزلت بعد سورة الأحزاب، وسورة النساء هي التي جاء فيها الحكم الشرعي بالألا يتزوج أحد من المسلمين أكثر من أربعة. وبعد نزول آية تخير نساء النبي (ﷺ) بين متع الحياة الدنيا وبين الاستمرار معه في حياته الخشنة وتحت أعباء الرسالة، وبعد اختيارهن الله ورسوله؛ جاءت الآيات التالية، وأخرها الآية ٥٢ التي تمنع النبي (ﷺ) أن يتزوج عليهن أو يبدلهن. فلتتابع الآيات من بداياتها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ فهذا تقرير وتأكيد لاحتفاظ النبي (ﷺ) بزوجاته ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ المقصود قراباتك من جهة الأب، وقراباتك من جهة الأم، وهن نساء قريش ونساء بنى زهرة ومن تتنسب لهن ﴿ وَأَمْرًا مُمُؤِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وخص الله نبيه بجواز الزواج ممن تهب نفسها له بدون مهر، والأرجح من روايات التراث أنه لم يتزوج من أي منهن وأنه زوّج من عرضت ذلك بأحد الصحابة ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ قد بينا ما فرضنا على الرجال في زوجاتهم وفيما ملكت أيمانهم ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ فلا حرج فيما شرعه الله، وإنما الحرج في مخالفة شرع الله ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾.

\*\*\*

﴿ تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾

قال الشوكاني: [عن أبي رزين قال: هم رسول الله (ﷺ) أن يطلق من نسائه، فلما رأى ذلك أتته فقلن: لا تخل سبيلنا وأنت في حل فيما بيننا وبينك، افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت، فأزل الله ﴿ تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ ﴾] والمعنى تقسم بين من تشاء وتترك من تشاء إلى حين وحتى تقرأ أعينهن بالبقاء زوجات لخاتم النبيين ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ يعلم الله ما يعتمل في قلوبكم، ويعلم ما يصلحكم، ويحلم عن كثير مما تظنون وتقولونه وتفعلونه فيما يخص شرع الله، لا يعجل العقوبة لكم حتى تظهر حجته، ثم يؤخرها عسى أن تتوبوا، ثم نزلت الآية التي تحرم على النبي (ﷺ) اتخاذ أية زوجات أخر، أو بدلا من زوجاته ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾

\*\*\*

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذُكِمْتُمْ أَنَّ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذُكِمْتُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدَّلُوا شَيْئًا أَوْ تَخَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾

كانت بيوت النبي (ﷺ) هي حجرات النوم، ليس أكثر من ذلك، ربما كان لبعضها مداخل صغيرة قبل حجرات النوم<sup>(١)</sup>، لا تكفي للحفاظ على حرمة البيت أمام الكم الهائل من الزوار، وكان زواره المؤمنون من كل مكان، ومن كل شكل ولون، وكان الكثير منهم يود أن يلبث مع نبيه أطول مدة ممكنة، حتى أن الفاروق (رضي الله عنه) قال له: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ رواه البخاري، فنزلت الآية.

(١) في مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، بالمدينة، مجسمات لبيوت النبي (ﷺ)، تظهر البيت عبارة عن حجرة مساحتها حوالي ٢٠ متراً<sup>٢</sup>، ومدخل بسيط مساحته أقل من نصف الحجرة، وليس كامل الخصوصية.

والحجاب المذكور فى الآفة - بسىط و متواضع - شببه بما نصنعه الآن فى بيوتنا من تقسىمها لغرف النوم، لا ىدخلها الضىوف، وغرفة للجلوس، وأخرى للطعام حتى لا يقتحم الضىوف غرف النوم. وقد كان النبى (ﷺ) ىستحى أن ىطلب منهم الانصراف بعد الطعام، وكما ىبىن صدر الآفة، كان بعضهم ىدخل بدون إذن، والبعض الآخر ىدخل وىنتظر طويلاً حتى ىحىن وقت الطعام، فنزلت الآفة تمنع الدخول بدون إذن، وتمنع من المكوث الطويل فى البىت منتظرىن طعاماً أو للتحديث طويلاً مع النبى (ﷺ)، وقالت الآفة إن النبى (ﷺ) ىستحى من تنبیه المسلمىن لذلك، ولكن الله لا ىستحى من بىان الحق ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ وتبىن الآفة أنه لم ىكن هناك دائماً من تعملن فى خدمة أمهات المؤمنىن، وتنبهى المؤمنىن عن الانفراد بأمهات المؤمنىن فى حجراتهن، وإذا طلب أحد من المؤمنىن شىئاً منهن فلىكن ذلك من خارج حجراتهن ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ باستغلال كرمه وحبائه ﴿وَلَا أَنْ تَكْفُرُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ هل ذلك تكرىم لخاتم الأنبىاء؟ وحفظ لسىرته وأقواله من أن ىتلاعب بها أحد بعد وفاته؟ أم حفاظ على أمهات المؤمنىن من أن ىنالهن سوء أو استغلال من بعده؟ أم حفاظ على وضعهن كأمهات للمؤمنىن تتأسى بهن المؤمنات وىجلهن وىقدرهن المؤمنون؟ أم بعض ذلك؟ أم كله؟ أم غيره؟ الله أعلم.

ولىس ذلك بفرىد، فلم نسمع عن زواج زوجات إبراهىم أو یعقوب أو موسى أو داود (علیهم الصلاة والسلام) بعد وفاتهم ﴿إِنْ ذُلَّكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ وقد امتثل المؤمنون وأمهات المؤمنىن لذلك ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

\*\*\*

﴿لَا جُنَاحَ عَلَیْهِنَّ فِى آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِیْنَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا (٥٥)﴾

بعد أن نزلت آفة الحجاب التى تمنع الضىوف من دخول حجرات النبى (ﷺ) وبها نساؤه، نزلت هذه الآفة تستثنى البعض ﴿لَا جُنَاحَ عَلَیْهِنَّ﴾ أى على نساء النبى وكل نساء المسلمىن أن ىستقبلن فى بیوتهن دون حجاب ساتر الإمام والأبناء والإخوة وأبناء الإخوة وأبناء الأخوات قریباتهن ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قیل من الإمء فقط، وقیل من الإمء والعبىد الذىن ىعملون لدهىن ﴿وَآتَقِیْنَ اللَّهَ﴾.

\*\*\*

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَتَنَّا وَبُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾

صلاة الله على نبيه رحمة، وصلاة الملائكة طلب لرحمة الله وغفرانه، وصلاة المؤمنين وسلامهم حسنات لهم تقربهم من الله ورسوله، وجاء عند مسلم «من صلى على صلاة، صلى الله عليه بها عشراً» ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ المقصود يؤذون رسول الله، فكأنهم يحاولون إيذاء من أرسله، وقال الماتريدي: [إضافة الأذى إلى الله على إرادة رسوله خاصة؛ لأن الله لا يجوز أن يقال إنه يتأذى بشيء أو يؤذيه شيء؛ لأن الأذى ضرر يلحق، والله يتعالى عن أن يلحقه ضرر أو نفع، بل هو القاهر الغالب القادر الغنى بذاته، ويكون المراد بإضافة الأذى إليه رسوله خاصة، على ما ذكرنا في قوله ﴿ يَخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ [البقرة: ٩] أى يخادعون رسوله، وكقوله ﴿ إِنْ تَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ وأمثال ذلك كثير، والله أعلم، ونضيف أيضاً مثل قوله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، أولئك الذين يؤذون رسول الله، أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة ولهم عذاب مهين ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا ﴾ يؤذونهم بالقول أو الفعل بغير جناية ارتكبوها ﴿ فَتَنَّا وَبُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ كذباً كبيراً وذنوباً ظاهر القبح.

\*\*\*

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٥٩)

قال محمد الغزالي: [كان في المدينة فتيان سوء يتسكعون في الطرقات ابتغاء الريبة، فإذا وجدوا امرأة مهملة في حجابها أو مبتذلة في ثيابها، طمعوا فيها. فأمرت (الآية) المؤمنات بالاحتشام الكامل، وألا يتركن لهبوب الريح أو سرعة السير فرصة لبعث الملابس عن الجسم، وبذلك التصون يصدون الرغبات الجامحة، ويحمين أنفسهن من السفلة. ثم قيل لهؤلاء الفاحشيين ﴿ لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنْغُرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾] والحق أن المدينة الحديثة يسرت الفتن للقريب والبعيد،

والرأغب والعازف . والمحور الذى تدور عليه حياكة الملابس - التى تظهر المفاتن وتكشف أكثر مما تستر - هو الإغراء الحرام<sup>(١)</sup> ، ولا مكان هناك لتقوى القلوب .

\*\*\*

﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لغيرنك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ﴾ (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ (٦٢)

﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ عن نفاقهم ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾ قيل حب المعاصى ، وقيل ضعف فى الإيمان وعدم الصبر عليه ، وقيل المقصود المنافقون الذين لا تطمئن قلوبهم بذكر الله ﴿ والمرجفون ﴾ مروجو الإشاعات ضد الإسلام والمسلمين ، والإرجاف هو إشاعة الكذب والباطل ، وأصله التحريك الشديد ، ووصفت به الأخبار الكاذبة لأنها متزلزلة غير ثابتة ، أو لما تحدثه فى النفوس ﴿ لغيرنك بهم ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ﴾ لن يمكثوا بجوارك فى المدينة ، فسوف يجلبهم رب العالمين عنها ، ولن يبقوا فيها إلا زمناً قليلاً ﴿ ملعونين أينما ثقفوا ﴾ تتبعهم لعنة الله أينما وجدوا ﴿ أخذوا ﴾ أسروا ﴿ وقتلوا تقتيلاً ﴾ هذه هى سنة الله فى الأمم السابقة التى مكرت بأنبيائها ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ .

\*\*\*

﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾ (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً (٦٤) خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً (٦٥) يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولاً (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءتنا فأضلونا السبيلاً (٦٧) ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً (٦٨)

يسألك الناس يا محمد متى تقوم الساعة؟ فقل لهم ﴿ إنما علمها عند الله ﴾ وحده ﴿ وما يدريك ﴾ يا محمد ﴿ لعل الساعة تكون قريباً ﴾ وساعة كل إنسان يوم وفاته ، فالأجدر باهتمام الناس هو العمل استعداداً للساعة وليس السؤال عنها ، ولذلك أجاب الرسول (ﷺ) ذات مرة من سأله عن وقت قيام الساعة سائلاً: «ماذا أعددت لها؟» ويبدو من السياق أن السائلين كانوا مكذبين أو متحدين مستهزئين ، لذلك جاءت الإجابة أن للكافرين فيها ناراً

(١) كثير من أشهر مصممي الأزياء فى العالم من الشواذا! .

متقدة، خالدين فيها، لا يجدون من يواليهم أو ينصرهم، ويومها تتقلب وجوههم فى النار بحثاً عن مخرج، أو لتخفيف العذاب، أجارنا الله من ذلك، و﴿ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ بعد أن عرفوا الحق ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴾ تحجج أصحاب النار بأنهم اتبعوا سادتهم وكبراءهم، سواء كانوا حكاماً أو وجهاء أو علماء، أو حتى رجال دين ضالين مضلين، فأضلّوهم عن سبيل الله ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ جزاء ضلالهم وجزاء إضلالنا ﴿ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ واطردهم من رحمتك طرداً كبيراً.

\*\*\*

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

روت كثير من التفاسير قصة اتهام بنى إسرائيل لموسى (ﷺ) بعبث خلقى، وقال الماتريدى عن ذلك: [هذا التأويل بعيد]، وقال المراغى: [لم يعين لنا الكتاب الكريم ما قالوا فى موسى، ومن الخير ألا نعيّنه حتى لا يكون ذلك رجماً بالغيب دون دليل] ولن يعيب أحداً أن يخلقه الله بعبث خلقى، ولن يمنع العيب الخلقى موسى (ﷺ)، أو أحداً من المؤمنين أن يكون وجيهاً عند الله خالقه، والعبرة هنا هو ما تأمر به الآية المؤمنين: لا تأذوا رسول الله (ﷺ) كما أذى بنو إسرائيل موسى (ﷺ)، وروى الشيخان عن ابن مسعود قال: قسم رسول الله ذات يوم قسماً، فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فاحمر وجه رسول الله، ثم قال: «رحمة الله على موسى، فقد أودى بأكثر من هذا فصبر»، وللنهي عن ذلك تأمر الآية المؤمنين ﴿ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ حتى تنصلح أعمالكم، وحتى يغفر الله ذنوبكم ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

\*\*\*

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

عرض الله أمانة الخلافة على الأرض لإقامة الحق، على السموات والأرض والجبال فرفضن حملها شفقةً على أنفسهم وخوفاً من تبعاتها. وتعددت أقوال المفسرين: هل هذا العرض حقيقة؟ أم ضرب مثل - كما نقل القرطبي عن القفال وغيره - أو مجاز عن ثقل المهمة التي لا تستطيع الكائنات الهائلة الضخامة: السموات، والأرض، والجبال أن تحملها؟ ونقل ذلك مخلوف، وليس هناك ما يمنع أن يكون العرض حقيقياً، والله أعلم. وقال المراغي: [إننا لم نخلق السموات والأرض على عظم أجرامها مستعدة لحمل التكليف بتلقى الأوامر والنواهي والتبصر في شئون الدين والدنيا، ولكن خلقنا الإنسان على ضعف وصغر جرمه مستعداً لتلقيها والقيام بأعبائها]، وقال محمد الغزالي: [خُتِمت سورة الأحزاب بخلاصة وجيزة عن عمل البشر على ظهر الأرض. . إنهم تميزوا على غيرهم بحرية الإرادة، وبالتكليف الذي يميز الأخيار والأشرار. إنهم ليسوا دواب محكومة بغرائزها الدنيا، ولا أرواحاً محكومة بخصائصها العليا. إنهم جنس خاص يستطيع التسامى والإسفاف، يستطيع أن يتجه يميناً إلى الجنة أو يساراً إلى النار، وأمانة التكليف حملها الإنسان، وهو يستطيع الوفاء بحقوق الله وحقوق الناس، كما يستطيع خيانتها والعبث بها] ﴿ **وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴾ حمل الإنسان تلك الأمانة الثقيلة، فهو ظلوم لنفسه، جهول عن ثقل التبعة. هل عرض الله الأمانة على الإنسان كما عرضها على السموات والأرض والجبال؟ يُمكن فهم ذلك من السياق، ولكن لا يمكن الجزم به ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ تلك هي تبعة حمل الأمانة، الجزاء على العمل في الآخرة، إما عذاب للكافر، وإما توبة وغفران ورحمة للمؤمن.

\*\*\*



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (٢)

سورة سبأ رابعة السور المبدوءة بحمد الله (١) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ خَلَقًا وَمُلْكًا وَتَدْبِيرًا ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ﴾ يوم يضع الموازين الحق، ويجازي الناس بالحق ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ واهب الحكمة ومانعها ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بكل الأمور، ما كان وما هو كائن وما سيكون، وكيف لا وهو خالق كل الأمور ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا ﴾ يعلم ما يدخل في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يصعد فيها، فهو خالق كل شيء وقائم عليه - ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [المالك: ١٤] - ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالَمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) لِيَجْزِيَ

(\*) إلا الآية السادسة فمدنية.

(١) بدأت بالحمد سور : الفاتحة، الأنعام، الكهف، وستأتي بعد ذلك سورة فاطر.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴿

الذين كفروا يريدون أن يتمتعوا بحياتهم الدنيا، وفق أهوائهم وشروطهم وأفكارهم ونظرياتهم، ويرفضوا أن يحاسبوا على أعمالهم بموازين أخرى غير موازينهم، ولذلك يرفضون حقيقة البعث والحساب، فتقول الآية ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أقسم بالله، ستأتيكم، واعلموا أن ﴿عَالَمِ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَلَا أَصْغَرُ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ فأقولكم وأعمالكم، صغرت أو كبرت، قصرت أم طالت، مسجلة لديه في كتاب واضح، لا يغيب عنه وزن الذرة ولا أصغر ولا أكبر ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بالمغفرة والرزق الكريم في الدنيا والآخرة، أما ﴿الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ الذين جحدوها وتحذوها متصورين أن يغلبونا ويعجزونا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ والرجز هو أشد العذاب، أما أهل العلم فهم يدركون أن القرآن حق من عند الله، يهدي إلى سبيل ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ واهب العزة ومانعها، المحمود.

\*\*\*

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبِينُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مِرْقَةٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴿

ودائماً أبداً نرى كفار الأمس وكفار اليوم يرفضون يوم البعث والحساب؛ وقال بعضهم مستكراً ومستهزئاً ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ وهو محمد (ﷺ) ﴿يَبِينُكُمْ﴾ يخبركم بالعجب العجاب ﴿إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مِرْقَةٍ﴾ تمزقتم كل تمزيق وصرتم تراباً وعظاماً ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ تبعثون أحياء مرة أخرى، هل هذا الرجل ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ فيرد عليهم خالقهم ومرسل الرسل إليهم ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ ثم تحذره الآية من أن تنقلب عليهم السماء والأرض المحيطة بهم، كما انقلبت على الذين قبلهم، أو تبتلعهم الأرض، أو تأتيهم الرياح المهلكة بالصواعق أو بالحجارة، كما حدث لأقوام قبلهم، وإن في ذلك لعبرة لكل عبد منيب.

\*\*\*

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١١﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢﴾﴾

أتى الله داود (ﷺ) فضلاً: علماً وحكمة، وذرية سالحة: سليمان الحكيم (ﷺ)، وعلى رأس ذلك الفضل آتاه الله الكتاب والنبوة ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ سبحى يا جبال معه أنت والطيور ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ سخرننا له الحديد، وجعلناه لينا فى يده يُشكِّله كما يشاء ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ دروعاً واسعة تحمى من بأس الأعداء ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أحكم صنعتك فى الدروع وأتقنها، والسرد هو نسج الدروع، وقيل هو اسم جامع للدروع وسائر الحلق أو الحلقات ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ يا بنى البشر، إن الله عليم بصير.

\*\*\*

﴿وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَّانٍ كَأَلْبُوبٍ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

سخر الله لسليمان (ﷺ) الريح، تذهب فى شهر وتعود فى شهر، أو تجرى فى النهار ما يقطعه الناس فى شهر، وتجرى من الزوال إلى الغروب فيما يقطعه الناس فى شهر ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ﴾ ألهمناه صهر النحاس، وسخرنا له الجن تعمل بين يديه ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ ومن يعصى ﴿نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يصنعون لسليمان ﴿مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ﴾ مبان للعبادة ﴿وَتَمَائِيلٍ﴾ التماثيل جمع تمثال، وهو كل شىء مثلته بشىء، أى صورته بما يشبهه، فتعنى الكلمة الصور، وتعنى التماثيل بمعناها اليوم، والله أعلم أياً من ذلك كانت الجن تعمله، ويظهر من سياق الآية أن ذلك كان مباحاً ﴿وَجَفَّانٍ كَأَلْبُوبٍ﴾ أحواض كبيرة ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ وقدور كبيرة ثابتات ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ ما أجل وأهم وأشمل هذه الكلمات الثلاثة، وهى تخاطب آل داود وكل المؤمنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: اعملوا لتشكروا الله، واعملوا فعملكم الصالح هو فى ذاته شكر لله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾ إن الله يحب العبد الشكور ويزيده من فضله، ولكن قليل من يفعل ذلك

﴿ فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ ﴾ لما حكم الله على سليمان (ﷺ) بالموت، مات وهو متكئ على  
﴿ مَنَسَاتِهِ ﴾ عصاه، ولم تع الجن أنه مات، فظلت تعمل بجد ونشاط خوفاً منه، وأرسل الله  
حشرة، قيل هي الأرضة، تأكل العصا فسقط سليمان (ﷺ) على الأرض ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ  
الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ﴾ كما يزعمون أو يظن الجاهلون، ما ظلوا ﴿ فِي الْعَذَابِ  
الْمُهِينِ ﴾ .

\*\*\*

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ  
بِلَدَّةِ طَيْبَةٍ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي  
أَكْلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا  
الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

ثم تذكر الآيات قصة أهل سبأ، كانت لهم جنتان من آيات صنع الله، على جانبي  
مساكنهم، وقال تعالى لهم ﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بِلَدَّةِ طَيْبَةٍ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾  
ولكنهم رفضوا وأعرضوا ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ ﴾ السيل معروف، وقيل: العرم اسم  
للوادي الذي أتى منه السيل، وقيل: هو اسم سد هدمه السيل قبل أن يجتاحهم، وفي  
الحالتين، اجتاحتهم السيل وأهلك الجنتين ﴿ وَبَدَلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكْلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ  
وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ هلكت الجنتان وحل محلهما ﴿ خَمْطٌ ﴾ ثمر مر الطعم، و﴿ أَثَلٌ ﴾  
الطرفاء المعروف في مصر باسم الأثل - وهو شجر طويل مستقيم يُعَمَّرُ، جيد الخشب، دقيق  
الورق - وقليل من النبق ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافِرِينَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي  
وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ  
مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوْمنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ  
وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾

وجعل الله بينهم وبين القرى التي بارك فيها، مثل مكة والمدينة وبيت المقدس، قرى  
يستريحون فيها ويؤمنون بها، وقدر مسافاتها لتتناسب مع وسيلة سفرهم، وبدلاً من شكر الله

على ذلك طلبوا منه أن يباعد بين أسفارهم، وتبرموا بنعمه، واتبعوا إبليس فيما دعاهم إليه، واستجابوا لظنه الشرير بهم، إلا قليل منهم، ففرق الله شملهم، وجعل حضارتهم مجرد حديث يروى. وتؤكد الآية أنه لم يكن لإبليس سلطان عليهم، ولكن ابتلاهم الله ليباين المؤمن عن غيره، وهو ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾.

\*\*\*

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)﴾

قل يا محمد للمشركين ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الذين اتخذتموهم شركاء لله فلن يستجيبوا لكم، فهم لا يملكون جلباً لنفع ولا دفعاً لشر، وبذلك لا يملكون ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ﴾ وليس لهم أى شركة مع الله ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ وليس له منهم معين على الخلق أو التدبير ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ممن يقولون لا إله إلا الله، من الأنبياء والصالحين ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى إذا أزيل عن قلوب الناس الفزع والخوف يوم الحساب ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ ماذا قال ربكم فى أمر الإذن بالشفاعة ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾ قيل هو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى من الموحدين، وقيل لا إله إلا الله، والله أعلم ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

\*\*\*

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)﴾

قل لهم يا محمد مذكراً ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ﴾ بتسخير الشمس والقمر والنجوم، وإنزال الأمطار ﴿وَالْأَرْضِ﴾ من البحار والأنهار والعيون، والزرور والمعادن والماشية، وغيرها ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ لا إله غيره ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ونحن كمسلمين وأنتم كمشركين، كلانا إما على هدى أو ضلال ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا

**نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴿﴾ قال الزمخشري: [ هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ من الأول؛ حيث أسند الإجماع لأنفسهم والعمل للمخاطبين ]، وقال محمد الغزالي: [ وهنا نرى لوئاً من أدب الجدل، وبعد إرخاء العنان للخصم على هذا النحو، زاد المشركين تخجيلاً عندما قال ﴿ قُلْ لَأَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ] فبعد أن أصر المشركون على ضلالهم ورفضوا كل آيات الله البينات، أمر الله رسوله أن يقول ما يخزي جحودهم وعنادهم: لستم مسئولين عن إجرامنا، ولسنا مسئولين عن أعمالكم، وأن يقول ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ ثم يحكم بيننا الله ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ وهو الحكم العليم ﴿ قُلْ أَرُونِي ﴾ هذه الآلهة والأوثان الذين ﴿ أَلْحَقْتُمُ ﴾ جعلتموهم شركاء لله ﴿ كَلَّا ﴾ نهياً لهم عن معتقداتهم وأقوالهم الزائفة ﴿ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ ﴾ واهب العزة ومانعها الغالب على أمره ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ واهب الحكمة ومانعها.

\*\*\*

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿

لم يبلغ رسول قبل محمد (ﷺ) رسالة الله إلا إلى قومه أو قوم هجرته، وربما لمن كان معهم، أما محمد (ﷺ) فبينت الآية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ وآية الأنبياء ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [١٠٧] أنه مكلف برسالة عالمية، ولذلك أرسل رسائله لكل الأقوام المحيطة بالجزيرة العربية، من فارس إلى الشام إلى مصر إلى الحبشة، ولذلك نزل في القرآن، على سبيل المثال، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وجاء ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢] ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وجاء في الحديث «كلكم بنو آدم و آدم، خلق من تراب» رواه البزار، وجاء «لا فضل لعربي على عجمي إلا

بالتقوى» رواه أحمد<sup>(١)</sup>، فليس فى الإسلام شعب الله المختار والشعوب المستبعدة، وليس هناك أولاد لله من خلقه، والآخرون ليسوا أولاد الله، وليس فيه: «أنت ابنى، أنا اليوم ولدتك. أطلب منى فأعطيك الأمم ميراثاً وأقاصى الأرض ملكاً لك، فتكسرهم بقضيب من حديد وتطممهم كآنية الفخار»- المزمور الثانى- ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لانشغالهم بالدنيا وطمسهم على قلوبهم ومداركهم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وهذا سؤال تحدّ واستهزاء من الكافرين فى كل زمان ومكان، قل لهم يا محمد ﴿لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ وكل آت قريب.

\*\*\*

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحَنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)﴾

ويستمر الكفار فى تكبرهم وجحودهم، ويقولون لن نصدق هذا القرآن ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السابقة كالنوراة والزبور والإنجيل، ثم تنتقل الآيات لحال هؤلاء الظالمين فى الآخرة، فتقول لمحمد (ﷺ) وللمستمعين له والقارئى القرآن حتى يوم الدين ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ ترى الظالمين بكفرهم محبوسين يوم القيامة للحساب ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ يتبادلون التهم ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم سادتهم وقادتهم إلى جهنم والعياذ بالله ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ بتسلطكم علينا ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ولنجدونا من هذا الموقف المهين ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحَنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدْيِ﴾ بل كنتم مجرمين مؤثرين الضلال على الهدى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ

(١) إذا قرأت الكتاب المقدس، لوجدت العهد القديم لا يهتم إلا ببني إسرائيل، ويتكرر فيه عشرات المرات، وطوال مادة العهد القديم من أولها لآخرها، أنهم عندما يستقيمون، يتسلطون على الأمم التى حولهم، وعندما ينحرفون يُسلط الله عليهم الأمم التى حولهم، وجاء فى العهد الجديد قصة المرأة الكنعانية وفيها قال المسيح (ﷺ): ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل- متى ١٥: ٢٤.

اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ ﴿٣٤﴾ بل هي أوامرهم المستمرة لنكفر بالله ﴿وَنَجْعَلُ لَهُ أَندَادًا﴾ نظراء وشركاء ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ ندموا في داخلهم وبين بعضهم البعض لما شاهدوا عذاب النار، وجعلنا القيود في أعناق الكافرين ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

\*\*\*

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسِّطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

كثيراً ما افتتن الناس بما أعطاهم الله من أموال وأولاد وأحوال طيبة، ولذلك يقول المترفون لرسولهم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ وبدلاً من حمد الله وشكره على نعمه ليزيدهم من فضله، يقولون في تحدٍّ وغرور ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ فنحن المصطفون في الدنيا، ولو كان هناك آخرة فنحن هناك أيضاً المصطفون . قل لهم يا محمد ﴿إِنَّ رَبِّي يَسِّطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ليمتحنه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ ويضيقه على من يشاء ليمتحنه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وما كانت هبة الله لكم من المال والأولاد تقربكم من الله ﴿زُلْفَىٰ﴾ قربي، وإنما السبيل للتقرب من الله هو الإيمان وعمل الصالحات ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾ غرف الجنة ومنازلها الرفيعة ﴿آمِنُونَ﴾ .

\*\*\*

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسِّطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا تَمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

والذين يسعون في آياتنا ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ يريدون أن يطفئوا نور الله ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ قل لهم يا محمد إن الله هو الرزاق، يوسع رزقه لمن يشاء ويضيقه على من يشاء،

وما أنفقتم من شيء في سبيل الله ﴿فَهُوَ يَخْلِفُهُ﴾ فهو يخلفه عليكم ويعوضكم عنه بأضعاف مضاعفة، وجاء في الحديث «ما نقص مال من صدقة» رواه مسلم، والله خير الرازقين ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ سيسأل الله الملائكة - وهو أعلم - أهؤلاء كانوا يعبدونكم؟ فردت الملائكة ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزهك عن الشريك ﴿أَنْتَ وَلِينَا﴾ ما نحن إلا عبيد لك نواليك وحدك من دون الخلق، وإنما هؤلاء الذين أشركوا بك كانوا ﴿يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يعبدون الشياطين باتباعهم أهواءهم وشهواتهم، ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يوم الحساب، لا يملك أحد نفعاً ولا ضرراً، ويقول الله للمكذبين ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ .

\*\*\*

﴿وَإِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

وعندما يدعو محمد (ﷺ) العرب للإسلام، قالوا ما هو إلا رجل يريد أن يحول بينكم وبين ما كان يعبد آباؤكم ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ﴾ ما هذا إلا كذب مختلق، ثم قالوا عن القرآن ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ويرغم أنهم يعلمون أن الله لم ينزل لهم كتباً سماوية يدرسونها ولا أرسل إليهم أنبياء من قبل، فعلى أي أساس يستندون ويرجعون لما عبد آباؤهم؟ ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم السابقة أنبياءهم ﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ ومشركو العرب لم يصلوا إلى عشر ما بلغته الأمم السابقة، فأهلكناهم عندما كذبوا رسلي، استنكاراً لتكذيبهم. قل لهم يا محمد إنني أعظكم بأن تفكروا فرادى، أو اثنين اثنين، فهذا أدعى للتفكير الهادئ الرصين وأبعد عن الشوشرة، وتعودوا لرشدكم، فما عرفتم في محمد جنوناً، وعرفتم أنه الصادق الأمين، وما هو إلا ﴿نَذِيرٌ لَكُمْ﴾ أرسله الله ليحذركم من ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يوم الحساب.

\*\*\*

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾

قل لهم يا محمد إذا كنتم تخافون أن أطلب منكم أجراً على ما أدعوكم إليه ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ خذوا أنتم الأجر، وفي الحقيقة سوف تنالون أجراً كريماً إن اتبعتموني واهتديتم لله الواحد الأحد ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أنتظر الثواب والرضا من الله - تعالى - فقط ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قل يا محمد إن ربي يقذف بالحق في القلوب غير المتكبرة ولا الجاحدة فتحيا به بعد موتها، وهو ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ لا يخفى عليه شيء في جميع الأكوان ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ قل يا محمد مبشراً ومطمئناً المؤمنين: لقد جاء الحق من ربكم فأصلحوا به أموركم، وأقيموا به الدنيا ﴿وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾ فمهما انتفخ الباطل وانتشى فهو إلى زوال، قل لهم يا محمد إن كان ما أدعو إليه ضلالاً فسيعود وزره على، وإن كان ما أدعوكم إليه هو الهدى فإن ذلك ليس عندي، إن هو إلا وحي من الله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يجيب دعوة الداعي ولو بعد حين .

\*\*\*

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قَوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَآوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

ويوم القيامة ﴿إِذْ فَرَعُوا﴾ من هول جهنم ﴿فَلَا قَوَّةَ﴾ فلا نجاة لهم ولا مهرب من العذاب ﴿وَأَخَذُوا﴾ أخذ عزيز مقتدر ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ كناية عن سهولة أخذهم، وعندئذ يقولون ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ بما أرسل الله ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَآوُشُ﴾ ليس هناك سبيل لهم للمحاورة والمداورة ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ كناية عن استحالة تحقيقهم ما يريدون . والله يعلم أنهم ﴿قَدْ كَفَرُوا﴾ بما أنزل وأرسل من قبل ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وقد كانوا في حياتهم الدنيا يخوضون ويتجرأون بقول ما ليس لهم به علم ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ومنعوا من بلوغ ما يريدون، من الإفلات من العذاب والتنعيم بالجنة ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ كما منع من على شاكلتهم من الكفار والمشركين والمنافقين ﴿إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ فقد طمسوا قلوبهم ومداركهم بالشك من البعث والحساب، لكي يعبدوا أهواءهم ومتعهم الدنيوية .

\*\*\*



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾

سورة فاطر هي الخامسة وآخر السور المبدوءات بالحمد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على نعمه ﴿ فَاطِرِ ﴾ مبدع، موجد من غير مثال سابق ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ بكلِّ ما فيهما من مخلوقات ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ بوحيه، وبغير ذلك مما يكلفهم به ﴿ مِّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ ﴾ تلك الأجنحة، مثلها مثل شأن الملائكة كله، من أمور الغيب، لا يعلمها أحد بإعمال النظر والتفكير، ولكن فقط بالنصوص من القرآن والأحاديث الصحيحة، والله أعلم بمقصوده ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

\*\*\*

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

تتكرر الآيات التي تؤكد للبشر أن أرزاقهم بيد الله وحده - وأجالهم بيد الله وحده، وعزتهم بيد الله وحده، وهدايتهم بيد الله وحده - فكيف لا يعبدونه وحده؟ وكيف

لا يرتفعون لمستوى المسئولية، ولا يمثلون ويتيهون عزة وكرامة أن جعلهم الله خلفاء على الأرض؟ وأخبرهم أنه سخر لهم ما فى السماوات والأرض وكرمهم وفضلهم على كثير من العالمين؟ ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وكيف بعد كل ذلك تنقادون للإفك الذى يضللكم للكفر ولا تتخاذ شركاء كذباً، زوراً؟

\*\*\*

﴿ وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) ﴾

وإن كذبوك يا محمد فقد كذب أقوام سابقون رسلهم ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴾ وطمئن المؤمنين بأن الحساب الحتامى بيد الله، بموازين الله، وتبدأ عند ذلك الحياة الحقيقية، خلود فى النعيم ورضوان من الله للمؤمنين الذين عملوا الصالحات، وخلود فى النار للمكذبين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ يا أيها الناس، يا كل الناس، لا تصرفكم متع الدنيا الزائفة الزائلة عن عملكم على الأرض، والجنات التى أعدها ربكم للصالحين، واتقوا عقاب الله ولا تتمنوا الأمانى بلا إيمان وبلا عمل ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ فهل يطيع أحد عدوه؟ ﴿ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ بعدم اتباعه بادئ ذى بدء، ثم الحرص والحذر منه ومن مكره فهو ﴿ يَدْعُو حُزْبَهُ ﴾ المستجيبين له ﴿ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ لتكون نهايتهم الخلود فى جهنم، واعلموا أن ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا ﴾ الخبر محذوف لدلالة السياق عليه، وليقدح القارئ ذهنه فى المسألة، فإن الله يضل من اختار طريق الضلال، ويهدى من اختار طريق الهدى والنور، وذلك قضاء الله وتلك مشيئته ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ فلا يشتد حزنك يا محمد لكفر قومك حتى تهلك نفسك غمًا وحزنًا، والله ﴿ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (٩) مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

الله هو الرزاق، بالمطر وبغيره، وينشر الناس بعد موتهم للحساب كما يحيى الأرض الميتة ﴿ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ ما يحق لمؤمن صادق الإيمان أن يدل نفسه لأحد بعد قراءة هذه الآية ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ يدعو ذلك المؤمنين لقول الكلام الطيب والقيام بالعمل الصالح، وأن يتباينوا عن ﴿ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ يدبرون المكائد والشور، فلهم ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ يفسد ويذهب هباء، ثم تذكر الآية الناس ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ فاحمدوا الله على ما صرتم إليه، وتدبروا قدرته ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ ذكراً وإناثاً، وكل أمر لديه فى اللوح المحفوظ ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ وَمَنْ كُلٌّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَبْسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرٌ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢) يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُورِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخِرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ﴾ البحر المالح والبحر أو النهر العذب ﴿ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ ﴾ طيب حلو شديد العذوبة ﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ ﴾ مستساغ الشرب ﴿ وَهَذَا مَلْحٌ أجاجٌ ﴾ وهذا شديد الملوحة ومع ذلك فإنكم تأكلون منهما ﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ الأسماك ﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَبْسُونَهَا ﴾ من أمثال لؤلؤ ومرجان، وغير ذلك ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرٌ ﴾ تمخر وتشق الماء بمقدمتها ﴿ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ من صيد الأسماك واستخراج الأحجار الكريمة ونقل الركاب والبضائع، وغير ذلك ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ رب كل هذه النعم الذى ﴿ يُولِجُ ﴾ يدخل

﴿ **اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِّعُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ** ﴾ على مدى الدهر لتنعموا بنهار مبصر مضى للعمل ، وتمتعوا بليل هادئ لتناموا ، ويزداد طول أحدهما على حساب الآخر ، ثم يعود للتناقص ، ثم يعيد دورته ﴿ **وَسَخَّرَ الشَّمْسُ** ﴾ التي تمنح الدنيا طاقة حرارية وضوئية وغير ذلك من منافعها ﴿ **وَالْقَمَرَ** ﴾ لتهدوا به في عدد الأيام والشهور والسير ليلاً ﴿ **كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ هو يوم الحساب ﴿ **ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ** ﴾ وحده ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ** ﴾ من شركاء ، سواء كانوا ملائكة أو أصناماً أو بشرًا لا يملكون ﴿ **قَطْمِيرٍ** ﴾ وهو القشرة الرقيقة حول النواة ، فالملك الحقيقي لله ، يؤتية من يشاء وينزعه ممن يشاء ﴿ **إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ** ﴾ أى لا حول ولا قوة لهم ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ** ﴾ ويتبرءون منكم ﴿ **وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلَ خَيْرٍ** ﴾ .

\*\*\*

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** (١٥) **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ** (١٦) **وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** (١٧) **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** (١٨) ﴾

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ﴾ أنتم المحتاجون إلى ربكم ﴿ **وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ** ﴾ عنكم ﴿ **الْحَمِيدُ** ﴾ المحمود ﴿ **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ** ﴾ يهلككم جميعاً ، ثم ﴿ **يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿ **وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ وليس صعباً عليه ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ ولا تحمل نفس مذنبه ذنب نفس أخرى ، فبالأحرى لا تحمل نفس صالحة وزر نفس أخرى - ولا يتعارض ذلك مع ما جاء في سورة العنكبوت ﴿ **وَلِيَحْمِلْنَ أُنْقَالَهُمْ وَأُنْقَالًا مَعَ أُنْقَالِهِمْ** ﴾ [١٣] فهذا في الضالين الذين وزرهم أنهم يضلون الآخرين ، ولن يخفف ذلك من أُنْقَالِ الذين أضلّوهم - ﴿ **وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا** ﴾ وإن تطلب نفس مثقلة بالذنوب نفساً أخرى تتحمل عنها بعض الذنوب ﴿ **لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ** ﴾ فلن يُسْتَجَابَ لها ولو من أقرب الأقرباء ، واعلم يا محمد أن إنذارك يجدى مع الذين يخشون ربهم بالغيب ، والذين أقاموا الصلاة ، ومن يتطهر من الاعتقاد والقول والعمل السيء ، ويزكى نفسه بالعمل الصالح ، وينفق من أمواله في سبيل الله ، ومن يتزكى بعمله وبماله فإنما يعود تزكيه عليه بالفائدة ﴿ **وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾ .

\*\*\*

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذتُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦) ﴾

لا يستوى عند الله أعمى القلب، وهو الكافر والمشرک والمنافق، مع المؤمن صاحب البصيرة، ولا ظلمات الضلال مع نور الهدى، ولا ظل الجنة مع حر جهنم، وما يستوى أحياء القلوب مع أمواتها ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ﴾ من غير المتكبرين ولا الجاحدين ﴿ وَمَا أَنتَ ﴾ يا محمد ﴿ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ شبه الكفار بالأموات فى قبورهم؛ لأنهم أماتوا قلوبهم وعطلوا مداركهم سعيًا وراء أهوائهم، فما عليك إلا الإنذار، ولقد أرسلناك لتبشّر الناس بالحق وتنذرهم عقاب الله إذا عصوه ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ ﴾ من الأمم السابقة ﴿ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ إلا وجاءها نذير، فإن كذبوك فقد كذب أمثالهم الرسل من قبلك برغم أن رسلهم جاءهم ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالآيات الواضحة ﴿ وَالزُّبُرِ ﴾ وبالكتب السماوية مثل صحف إبراهيم وزبور داود ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ وبالطّورة والإنجيل، وذلك الأسلوب من قبيل عطف الخاص على العام، فأخذت الذين كفروا أخذ عزيز مقتدر ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ فانظر كيف كان إنكارى كفرهم وانتقامى منهم.

\*\*\*

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ يا محمد ويا كل من يبلغه القرآن ﴿ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ لتخرج الأرض ثمرها المختلف فى الألوان - وما إلى الألوان من أشكال وأحجام وطعوم وروائح - ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ﴾ طرق مختلفة الألوان، شديدة السواد وهى الغرابيب السود، والمراد تنوع هيئات الجبال بالطرق التى فيها وبألوانها، فنلك الجبال الهائلة يشكلها الله كيفما شاء،

كذلك تختلف ألوان الناس والدواب من الأبيض إلى الأحمر إلى الأصفر إلى الأسود بدرجات كل لون، وينسب مختلفة لاختلاط تلك الألوان ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ إن أحق وأولى الناس بخشية الله هم العلماء، ولكن من هم العلماء المقصودون؟ قال قدامى المفسرين: أعلمهم بالله، وقال محمد الغزالي: [وسياق الآية ظاهر في أن المقصود بالعلماء هنا علماء النبات والحيوان وعلماء طبقات الأرض، وعلماء الفيزياء والكيمياء، فضلاً عن علماء الطب والهندسة والفلك]. لقد تتبنا أقوال هؤلاء وسمعنا حديثهم عن الله تبارك وتعالى، فإذا هم يذكرون عظيماً أهلاً للتحميد والتمجيد، والإفراد بالعبودية.

وفي كل شيء له آية      تدلّ على أنه الواحد

وعلى هذا المحور تدور معاني القرآن. فالإيمان وليد عقل ذكى باحث، والدين ليس إلا عقلاً مؤمناً وقلباً استقرت إلى الله وجهته! وما أحق الجمع بين التأويلين، وجمع معارف علمائهما، كالجمع بين معارف القرآن كتاب الله المسموع، ومعارف الكون كتاب الله المعاش ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ إن الله واهب العزة ومانعها، وهو غفور لكل من تاب وأتاب. ثم تظمن الآياتان الأخيرتان المؤمنين وتبشرهم، من يتلو كتاب الله، ويعمل به، ويقوم الصلاة، ويعمل بما تأمره بها، وينفق أمواله في سبيل الله سرّاً وعلانية، فالإنفاق في سبيل الله هو تصديق الإيمان، يعطيهم الله جزاءهم ويزيدهم من فضله، فهو ﴿ **غَفُورٌ** ﴾ وهو سبحانه وتعالى ﴿ **شَكُورٌ** ﴾.

\*\*\*

﴿ **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ** ﴾  
 (٣١) **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** (٣٢) **جَنَاتٌ عِدْنٌ يُدْخَلُونَهَا يَحُلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** (٣٣) **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** (٣٤) **الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ** (٣٥) ﴾

ولقد أوحينا إليك الحق في آيات القرآن، الذي يُصدِّق على ما أنزلنا من قبل على الرسل، يدعو لعبادة الله الواحد الأحد، ويأمر بعمل الصالحات، ويبشر المؤمنين بحسن الجزاء، وينذر الكافرين بأشد العقاب، والله خبير بما يصلح عباده، بصير بما يفعلون ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ**

الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿٣٦﴾ ثم أورثنا القرآن من اصطفيناه من عبادنا ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴿٣٧﴾ قال أبو الدرداء: تلا رسول الله (ﷺ) هذه الآية، فقال «أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة، وأما الظالم لنفسه فيحسب حتى يظن أنه لن ينجو، ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة» ثم قال رسول الله (ﷺ): «وهم الذين قالوا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾» رواه أحمد والبيهقي. وقال الماتريدي: [الظالم من أهل التوحيد والملة، والمقتصد قال بعضهم هو الذي يخلط عملاً صالحاً بعمل سئ، وقال بعضهم هو الذي يقوم بأداء الفرائض والأركان، وأما غير ذلك فلا، والسابق يخرج على وجهين: أحدهما سابق بالخيرات كلها، لا تقصير ولا نقصان، أو سابق بالخيرات فيه تقصير ونقصان]، وقال المراغي: [ظالم لنفسه، مُفْرَطٌ فِي فِعْلِ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ مَرْتَكِبٌ لِبَعْضِ الْمَحْرَمَاتِ - مُقْتَصِدٌ مُؤَدِّ لِلْوَاجِبَاتِ، تَارِكٌ لِلْمَحْرَمَاتِ، تَقَعُ مِنْهُ تَارَةٌ بَعْضِ الْهَفْوَاتِ، وَحِينًا يَتْرِكُ بَعْضَ الْمُسْتَحْسِنَاتِ - سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ، يَقُومُ بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحْبَاتِ، وَيَتْرِكُ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَبَعْضَ الْمُبَاحَاتِ] ﴿جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسْوَرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وعندما يستقرون في جنات ﴿عَدْنٌ﴾ الإقامة، يقولون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ فلا حزن بعد اليوم ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لمن تاب وآمن ﴿شُكُورٌ﴾ لعباده الصالحين ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا﴾ الذي أنزلنا ﴿دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ دار الإقامة الدائمة والخلود في الجنة ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ﴾ لا نرى فيها تعباً ومشقة ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ ولا إعياء.

\*\*\*

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

أما الكافرون، فجزاؤهم جهنم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت فيستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ جزاء كفرهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا﴾ وهم يستغيثون ويصرخون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ من النار، وأعدنا إلى الحياة مرة أخرى ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من قبل، ويرد عليهم ربهم ﴿أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ أولم نمد في أعماركم ما يمكنكم من التدبر ومراجعة النفس وتذكر خالقكم وواجبكم، وبعثكم للحساب ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ الذي أنذركم بعذاب الله لمن كفر ﴿فَذُوقُوا﴾ من الآن فصاعداً عذاب النار ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ من مُخَلَّصٍ ولا معين ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا تخفى عليه خافية في الصدور ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ كلُّ يَخْلَفُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، ويخلفه مَنْ بعده ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ عليه وزر هذا الكفر ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أشد البغض والغضب ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خُسْرًا﴾ هلاكاً وخسراً.

\*\*\*

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (٤١) إِنْ اللَّهُ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١)

اسأل يا محمد المشركين ماذا خلق أولئك الذين جعلتموهم شركاء لله؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أم هم شركاء في خلق السموات ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ أم أنزلنا على هؤلاء المشركين كتاباً سماوياً، فهم يهتدون به ويتبينون الحق من الباطل ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ إن ما يعد الكفار والمشركون بعضهم البعض من أنهم يحسنون صنعا، وأنهم هم الذين يعرفون، وأنهم هم الذين يصلحون، وأنهم هم الفائزون، كل ذلك ما هو إلا غرور الجاهلين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يحفظهما ويمنعهما من الزوال ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ إذا زالت السماوات والأرض، فهل هناك قوة تعيدهما؟ ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ على عبيده ﴿غَفُورًا﴾ لمن يتوب توبة خالصة نصوحاً.

\*\*\*

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُجَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِحْدَىٰ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

أقسم أهل مكة لئن أرسل الله إليهم نذيراً ليكون أكثر هداية واستقامة من اليهود أو النصارى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ وهو محمد (ﷺ) ﴿ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ما زادهم ما يتلى عليهم من القرآن إلا بعداً عن الصراط المستقيم، تكبراً ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ وما تكبرهم إلا انحطاط في الأرض ﴿ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ ومكر شرير، ولن يعود إلا بالشر عليهم، فهل ينتظرون إلا أن يهلكهم الله كما أهلك القرون السابقة إن لم يتوبوا؟ تلك هي سنة الله ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ .

\*\*\*

﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ۚ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ عجباً لأهل مكة؛ فإنهم يمرون في تجارتهم على الأمم السابقة التي كانت أشد قوة منهم، أفلا يعتبرون من هلاكهم؛ لأن الله لا يعجزه شيء في السموات والأرض، فهو العليم بخلقه القدير على كل شيء؟ ولو يعاقب الله الناس ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾ من المعاصي والآثام ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ من إنسان يدب عليها ﴿ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يوم البعث والحساب ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ .

\*\*\*



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لَتَنْذِرِ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)﴾

﴿يس (١)﴾ ارجع لشرح الحروف المُقَطَّعة في أول سورة البقرة . قال محمد الغزالي :  
 [الحرفان ليسا اسماً للنبي (ﷺ)] ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ يقسم رب العالمين بقرآنه الحكيم ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ حقاً وصدقاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ من يتبعه يفوز برضا الله - سبحانه وتعالى - في الدنيا والآخرة ، أنزله عليك الله العزيز الرحيم ﴿لَتَنْذِرِ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ لم يرسل الله إلى قومك رسولا من قبل لينذرهم ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عن الحق ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لقد سبق في علم الله أن أكثرهم لن يؤمنوا ، ويعود الضمير هنا على زعماء مكة الذين مات أكثرهم على الكفر ، فقد استسلمت مكة للفتح المبين في السنة الثامنة من الهجرة ، ولم يسلم كل أهلها ، وقد مضى من نزول سورة يس ، وهى فى النصف الأول من السور المكية إلى الفتح حوالى خمسة عشر عاماً ، مات خلالها الكثير من أولئك الزعماء على الكفر ، وماتت قلة منهم ، حتى بعد الفتح ولعدة سنوات دون أن تؤمن ، وعلى سبيل المثال ، تروى كتب السيرة أن أبا سفيان بعد فتح مكة ، وبعد أن استسلم وأظهر الإسلام ،

(\*) إلا الآية ٤٥ فمدنية ، وقال المراغى بل الآية ٤٦ هى المدنية .

شارك في غزوة حنين، وحين انهزم المسلمون في بدايتها قال: «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر - الأحمر - وصرخ جبلة أو كلدة بن الحنبل: ألا بطل السحر اليوم»<sup>(١)</sup>، ! بل إن أحد أحفاد أبي سفيان أنشد شعراً ينفي فيه الوحي والرسالة.

\*\*\*

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)﴾

الإقماح هو رفع الرأس مع غض البصر، أى أن أغلالهم الكثيرة بلغت ذقونهم فاضطروا لرفع الرأس، فى الوقت الذى يغضون فيه أبصارهم، فيظنون لأسفل، وكأن ذلك كناية عن تكبرهم الذى يجبرهم على رفع رؤوسهم بالباطل، فى الوقت الذى لا يستطيعون فيه إلا النظر لأسفل، فلا يستشرفون الهدى والسمو فى رسالة محمد (ﷺ). وبسبب ذلك التكبر الزائف، جعل الله من أمامهم سداً ومن خلفهم سداً، فلا يعملون حساب الغد، ولا يتعظون من عبر الماضى، وسواء أنذرتهم أم لم تنذرهم فلن يؤمنوا ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ وإنما يفيد الإنذار من اتبعوا آيات الله وخشوا ربهم واتقوه بالغيب، هؤلاء بشرهم يا محمد بغفران الله ذنوبهم، وبشرهم بالأجر والثواب الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ فى البعث والنشور، ونسجل كل ما عملوا وكل ما تركوه وسنوه مما يؤثر فى الخلق، وحتى خطاهم فى الخير أو الشر ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وكل أمر كبير أو صغر، طال أم قصر، بيناه فى سجل جامع عظيم.

\*\*\*

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا إِيَّاكُمُ لِمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا

(١) راجع كتاب الرحيق المختوم - غزوة حنين.

الْبَلَاغِ الْمُبِينِ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾  
قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

قص على قومك يا محمد ما حدث لأصحاب القرية؛ إذ أرسل الله لهم رسولين فكذبوهما، فأيدهما الله - سبحانه وتعالى - برسول ثالث، وقالوا لأصحاب القرية ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ فكذبوهم، هم الثلاثة، وقالوا ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ﴾ فأجابهم المرسلون ﴿رَبِّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ فإذا بأصحاب القرية يزدادون تكبراً وتحدياً، ويقولون: إننا نشاء منا منكم! إن لم تتوقفوا عن دعوتكم سوف نرجمكم وننزل بكم عذاباً أليماً، فأجابوهم: تشاؤمكم من عند أنفسكم! إنما أنتم قوم ظالمون، لا تحبون الناصحين.

\*\*\*

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنَا الرِّحْمَنُ بَصُرًا لَا تَعْنُ عَنِّي شِفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

وجاء من طرف المدينة الآخر رجل مسرع، مشفق على قومه من العذاب، ينصحهم في استرحام ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ إنهم لا يسألونكم أجراً، فهم مهتدون، وكيف لا أعبد الذي ﴿فَطَرَنِي﴾ خلقتني وأبدعني، وكيف لا تعبدونه ﴿وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾ كيف أتخذ من دون الله آلهة لا ترفع عني الضر ولا ينفعونني في الدنيا والآخرة، لو فعلت ذلك فإنني ﴿إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ اسمعوا نصيحتي يا قومي، فقد ﴿آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الحق ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ تعددت تأويلات المفسرين، فمنها أن أصحاب القرية قتلوه، فمات شهيداً، ودخل الجنة فقال ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ومنها أن الله أوحى إليه بأنه غفر له ذنوبه وأراه جزاءه في الجنة، فقال قولته الحميدة، وكل ذلك من أمور الغيب، نقف عندها ولا نجزم فيها بتأويل.

\*\*\*